الزهد والرقائق

للإمام شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك المروزي

(المتوفى سنة ١٨١هـ)

بتحقيق وتعليق

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

دار المعراج الدولية
للنشر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار المعراج الدولية للنشر

الرياض: ١١٤٢١ - ص.ب: ٨٥٨

تليفون: ٤٠٣٦٢٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّهَ حقَّ تُقَاته ولا تموتُنَّ إلَّا وأنتم مُسلمُون ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذى خَلَقَكم مِّن نَّفْسٍ واحدَةٍ وَخَلَق منها زَوْجَهَا وَبَثَّ منهُما رجَالاً كثيراً ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذى تَسَاءلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقيبَا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يا أيها الَّذيْنَ آمنُوا اتَّقُوا اللَّه وقُولُوا قَوْلاً سَديْدَاً يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفرْ لَكُم ذُنُوبَكُم ومَن يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظيْمَا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى

محمد ﷺ وشر الأمور مُحدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

ثم أما بعد أيضا :

فإن الأمة الإسلامية قد يُصبها مرضٌ من الأمراض ولا تدرى أنها أُصيبت بهذا المرض. وقد تدرى أنها مريضة ولا تعرف خطر المرض الذى أصابها ، وأمة الإسلام فى هذه الأزمان تعيش حياة الذل والهوان ويتسلط عليها أعداء الإسلام فى كل مكان ، والإسلام وأهله فى محنة ، فما هو المرض الذى أصاب الأمة فأضعف قوتها ، وهزّ كيانها ، وكان سبب ذلتها وهوانها .

فإن من وظيفة الدعاة إلى الله عَزَّ وجل مع الدعوة إلى التوحيد وتعبيد الناس للرب العزيز الحميد معالجة أمراض الأمة ، والنبى ﷺ لَمَّا وصف الحال الذى تعيشه الأمة اليوم بين سبب ذلك ، فقال ﷺ : « **يوشك أن تتداعي عليكم الأمم كما تداعي الأَكَلَةُ إلي قصعتها** » . قالوا : من قلّة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « **بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبِكم الوهنَ** » . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « **حُبُّ الدنيا وكراهية الموت** » (١) .

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٦) الملاحم ، وأحمد (٢٧٨/٥) وأبو نعيم فى الحلية (١٨٢/١) وصححه الألبانى فى الصحيحة بشاهديه رقم (٩٥٨) .

والمقصود بالموت الموت فى سبيل الله عز وجل ، فما أنكر النبى ﷺ على الصحابة الذى قالوا : كُلُنا يكره الموت عندما قال لهم : « **مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه ومن كَرِه لقاء الله كَرِه الله لقاءه** » ثم قال ﷺ : « **إن المؤمن إذا فُرِّجَ له عما هو قادم عليه أحبَّ لقاء الله فأحب الله لقاءه** » (١) .

فظهر أن الموت الذى عَناه رسول الله ﷺ هو الموت فى سبيل الله والوهن الذى ذمَّهُ هو حُبُّ الدنيا والتعلق بها وعدم الرغبة فى الشهادة فى سبيل الله عز وجل ، فإن هذا خلاف ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم ، فقد كان خالد بن الوليد يقول للروم : **أتيتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة** .

فالكفار زُيِّنَتْ لهم الحياة الدنيا فاغتروا بزينتها وزُخْرفِهَا كما قال الله عز وجل : ﴿ **زُيِّن للذينَ كَفروا الحَياةُ الدُّنيا ويَسْخَرون من الذين آمنُوا والذينَ اتَّقَوا فوقَهم يوم القيامَةِ**

والتداعى هو الإجتماع ودعاء بعضهم بعضا ، والأكلة : جمع آكل ، والغثاء: ما يُلقيه السيل من زَبد ووسَخ ، شبههم به لقلة شجاعتهم ، ودناءة قدرهم . قوله : (ما الوهن ؟) قال الطيبى: سؤال عن نوع الوهن ، أو كأنه أراد من أى وجه يكون ذلك الوهن : (قال : حُب الدنيا وكراهية الموت) وهما متلازمان فكأنهما شئ واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية فى الدين من العدو المبين ونسأل الله العافية – عون المعبود (١١/٤٠٤/٤٠٥) .

(١) رواه البخادى (١١/٣٥٧) الرقاق ، ومسلم (١٧/٩) الذكر والدعاء ، والترمذى (٤/٢٨٧) الجنائز ، والنسائى (٤/٩)الجنائز .

والله يَرزُقُ مَن يشاءُ بغير حساب ﴾ [البقرة: ٢١٢].

فالواجب على المسلم أن لا يغتر بزخارف الدنيا ، وأن تكون الآخرة نيته والشهادة فى سبيل الله أمنيته ، ودَلَّ على هذا المعنى أيضا قوله ﷺ : « **إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتي ترجعوا إلي دينكم** »[1] فقوله : « **أخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع** » أى أن كُلَّ إنسان يكون حريصاً على دنياه ، فهو يسير خلف بقرته ، يرضى بالدنيا ، ويطمئن بها ، فلا يجاهد فى سبيل الله ، ولا يبذل لإعزاز الدين ، فالناس اليوم أكثرهم يشترون سلامة دنياهم بأديانهم ، فهو لا يبالى إذا سلمت له دنياه صارت الدولة للإسلام أو لأعداء الملك العلام ، ولم يكن هذا من هَدى سلفنا الصالح ، بل كان الواحد منهم يُرحب أن يندق عنقه ولا يثلم دينه فهذا خبيب بن عدى رضى الله عنه لما أسره المشركون

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٤٥) البيوع وقال الألبانى: صحيح لمجموع طرقه وانظر طرقه فى الصحيحة رقم (١١).

قال الرافعى: وبيع العينة هو أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ويسلمه المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن نقداً أقل من ذلك القدر. [عون المعبود: ٣٣٦/٧، ٣٣٧].

وقال الألبانى: فذكر أن تسليط الذل ليس هو لمجرد الزرع والحرث بل لما اقترن به من الإخلاد إليه والإنشغال به عن الجهاد فى سبيل الله فهذا هو المراد بالحديث وأما الزرع الذى لا يقترن به شئ من ذلك فهو المراد بالأحاديث المُرَغبة فى الحرث فلا تعارض بينهما ولا إشكال .

وعذبوه عذابا شديداً وقالوا لـه : أتحب أن محمداً مكانك وأنك معافاً فى أهلك ومالك ؟ فقال : والله ما أحبُّ أننى معافاً فى أهلى ومالى ويُشاك محمد ﷺ بشوكة. وفى ذلك قيل :

أَسَرَتْ قُـريـشٌ مُـسلمـًا ∴ فـمَـضَى بِلا وَجَلٍ إلى السَّيَّافِ
سـألوه هل يُرضِـيكَ أنَّك سـالمٌ ∴ ولك النبيُّ فِـدىً من الإتلافِ
فأجاب كلاَّ لا سَلِمْتُ مِن الرَّدى ∴ ويُصـابُ أنفُ مُـحَـمـدٍ برُعـافِ

ولما أرادوا قتله أنشأ يقول :

ولست أُبالى حينَ أُقـتلُ مـسْلمـا ∴ على أىِّ جنبٍ كان فى الله مَصرعى
مـا دام فى ذاتِ الإله وإن يشـاء ∴ يُبَـارِكْ على أشـلاءِ شِلْو مُمَـزع

فهكذا كان حال سلفنا الصالح رضى الله عنهم ، فانظر كم بين حالنا اليوم وحالهم . ومن بديهيات الإسلام التى غفل عنها أكثر الناس أن المسلم لا ينبغى له أن يقدم محبة أحد أو عَرَضٍ من الأعراض على محبته لله عز وجل ، أو لرسوله ﷺ ، أو للجهاد فى سبيل الله كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ **قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتُكُم وأموالٌ اقترفتموها وتِجَارَةٌ تَخْشَونَ كسادها ومَساكنُ تَرضَوْنها أحبَّ إليكُم مِّنَ اللَّهِ ورسولهِ وجهادٍ فى سبيلهِ فتربَّصوا حتى يأتى**

الله بأمْرِه والله لا يَهدى القوم الفاسقين ﴾ [التوبة: ٢٤] .

فهذه بديهيات الإسلام صارت اليوم لغربة الإسلام وأهله من الغرائب غابت عن المسلمين المفاهيم الإسلامية الصحيحة وغربت شمس الإسلام لما فَقَد الرجال الذين يقومون به ويضحون من أجله ، وصارت الدنيا أكبر همِّ الناس ، ومبلغ علمهم ، فأين فى المسلمين اليوم خبيب بن عدى ، وخالد بن الوليد وجعفر بن أبى طالب ، ومصعب بن عمير وغيرهم كثير ممن رباهم رسول الله ﷺ فصاروا ببركة تربيته ودعوته قمما شامخة فى سماء المجد والرفعة ، قاموا بدين الإسلام فقام بهم دين الإسلام ، وأعزوا دين الله فأعزهم الله عز وجل ، من قُتِل منهم فى الصراع بين الإسلام والكفر أفضى إلى موعود الله عز وجل له ، ومَن عاش منهم صار أميراً على مصرٍ من الأمصار ، وهكذا المسلمون إذا أعزوا دين الله ، وزهدوا فى هذه الدنيا الفانية ، وكانت آمالهم فى الآخرة الباقية .

ومن أجل إحياء هذه المعانى الإسلامية ، والقيم الصحيحة المرضية وما حضَّ عليه الشارع الحكيم ﷺ ، عمدنا إلى أَجَلِّ الكتب المصنفة فى الزهد وهو (**زهد الإمام المبارك**

عبد الله بن المبارك) فخدمناهُ خدمة علمية متميزة وذلك بالتقديم له بمقدمة ضافية حافلة بالخير ، وإعادة ترقيمه مع حذف زيادات تلامذته من غير طريقه ، وإلقاء الضوء على معانى الأخبار النبوية ، والآثار السلفية ، وشرح ما يحتاج إلى شرح من الآيات القرآنية والمعانى الزهدية ، والحكم على أسانيد مروياته والترجمة لرجاله بما سنفصح عنه فى خطة البحث غير بعيد فى المقدمة وسيقف عليه القارئ الكريم إذا خاض غمار هذا الكتاب ونسأل الله عز وجل أن يعظِم لنا الأجر والثواب على ما فيه صواب ، وأن يعاملنا بالعفو والغفران لما فيه خطأ أو نسيان .

ولا أنسى أن أشكر فى مقدمة هذا الكتاب لأخوين كريمين بذلا لى وسعهما فى النصح والجهد وهما أخونا الفاضل / **أشرف الرفاعى** أسأل الله عز وجل أن يشرفه وأن يرفعه بالعلم النافع والعمل الصالح .

والأخ الحبيب / **جمال عبد الرافع** حيث ساعدنى فى صناعة المعجم وفهارس الآيات والأحاديث والآثار ولم يبخل بوقت أو جهد والله عز وجل يعظم لهما المثوبة ويجمعنا وإخواننا الطيبين مع السلف الصالحين فى أعلى عليين مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

معني الزهد

والأخبار في الحث عليه والأمر به

قال فى مختار الصحاح : الزهد ضد الرغبة. تقول : (زَهِدَ) فيه وزهد عنه وزهد أيضا وزَهَدَ يزْهَد بالفتح فيهما زهدا وزهاده بالفتح لغة فيه والتزهد التعبد . (١)

وقال فى لسان العرب : والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا والزهادة فى الأشياء كلها ضد الرغبة ، وزهِدَ وزهَدَ ، وهى أعلى يزهد فيهما زُهداً وزَهَدا الفتح عن سيبويه ، وزاد ثعلب : زَهِد أيضا.

والتزهيد فى الشئ وعن الشئ خلاف الترغيب فيه ، وزهده فى الأمر رَغبةً عنه وقوله عز وجل : ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ قال ثعلب : اشتروه على زهدٍ فيه . (٢)

وقال أحمد بن قدامة : إعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ إلى ما هو خير منه ، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عن شئ ليس مرغوبا فيه ولا مطلوبا فى نفسه لم يسم زاهداً كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً .

---

(١) مختار الصحاح (٢٧٦) .

(٢) باختصار من لسان العرب (١٨٧٦/٣) .

وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا ، ومن زهد فى كل شئ سوى الله تعالى فهو الزاهد الكامل.

واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والقوة واستمالة القلوب ، وإنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة .(١)

فالزهد هو خلو القلب من الدنيا وانصرافه عن محبتها إلى محبة الدار الآخرة ، فلا تكون الدنيا أكبر همه ، ولا مبلغ علمه بل يرتحل بقلبه من الدنيا إلى الآخرة ، فلا يكون فرحه بالدنيا ولا أسفه عليها ، ولا رغبته فى أعراضها ، بل تصير الآخرة همه ونيته ، والعلم المورث لهذه الحال هو اليقين بقول الله عز وجل : ﴿ **بَل تُؤثِرون الحياة الدنيا والآخرةُ خَيْرٌ وأبْقَى** ﴾ [الأعلى: ١٦ ، ١٧] .

فالدنيا كقطعة الثلج ، رخيصة الثمن سريعة الذوبان والآخرة كالجوهرة غالية الثمن ولا تذوب ، وبمقدار العلم بالتفاوت بين الدنيا والآخرة يزداد الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، ولذلك كان النبى ﷺ أزهد الأمة ، فقوة اليقين بالآخرة ومعرفة خطرها يُزهد ولابد فى الدنيا ويُرغب فى الآخرة ، وقد أتت النصوص المتكاثرة التى تغرس هذا المعنى وتؤكد هذا العلم فمن الآيات القرآنية : قوله عز وجل : ﴿ **وما هَذِه الحياةُ الدُّنْيا إلا لَهْوٌ ولَعِبٌ**

---

(١) منهاج القاصدين (٣٢٤) باختصار .

وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لو كانُوا يَعْلمونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وفَرِحُوا بالحَياة الدُّنْيا ومَا الحياةُ الدُّنْيا في الآخرَة إلَّا متَاعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ كلا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وتَذَرُون الآخِرَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ تُريدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا واللَّهُ يُريدُ الآخرَة ﴾ [الأنفال: ٦٧] ، وقوله عز وجل : ﴿ زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوات من النِّساء والبَنينَ والقناطير المُقنْطَرَة منَ الذَّهَب والفضَّة والخَيْلِ المُسَوَّمة والأنْعام والحَرْث ذلكَ متَاعُ الحَيَاة الدُّنيَا واللَّه عندَهُ حُسْنُ المَآب * قُلْ أؤُنبِّئُكم بخَيْرٍ منْ ذلكمْ للَّذينَ اتَّقَوا عندَ ربِّهمْ جنَّاتٌ تَجرى من تَحتها الأنْهَارُ خالدينَ فيها وأزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّه واللَّهُ بَصيرٌ بالعبَاد ﴾ [آل عمران: ١٤ ، ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ متَاعُ الدُّنْيَا قَليلٌ والآخرَةُ خَيْرٌ لمَنِ اتَّقَى ﴾ [النساء: ٧٧] . وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون : ﴿ يا قَوْمِ إنَّما هَذه الحَيَاةُ الدُّنْيَا متَاعٌ وإنَّ الآخرَةَ هيَ دارُ القَرار ﴾ [غافر: ٣٩] . وقوله عز وجل : ﴿ ومَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلَّا متَاعُ الغُرُور ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقوله عز وجل : ﴿ بَلْ تُؤثرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا والآخرَةُ خَيْرٌ وأبْقَى ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] .

ودلت الأحاديث النبوية الشريفة على ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة :

* عن المستورد بن شداد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليَمِّ فلينظر بم يرجع** » (١)

* وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ، ما سقى كافرا منها شربة ماء** » (٢).

* وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بالسوق والناس كنفتيه ، فمر بجدى أسك ميت ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : « **أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم** » فقالوا : ما نحب أنه لنا بشئ وما نصنع به . ثم قال : « **أتحبون أنه لكم ؟** » قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت ؟ فقال : « **والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم** » (٣).

١- رواه مسلم (٩٣/١٨) الجنة وصفة نعيمها ، والترمذى (١٩٩/٩) الزهد ، وابن ماجة (٤١٠٨) الزهد .

٢- رواه الترمذى (١٩٨/٩) الزهد وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الألبانى: والصواب أن الحديث صحيح لغيره ، فإن له شواهد تقويه. وانظر شواهده فى الصحيحة رقم (٩٤٣).

٣-رواه مسلم (٩٣/١٨) الزهد وأبو داود (١٨٤) الطهارة وقوله: « والناس كنفتيه » أى حوله وقوله « أسك » أى صغير الأذنين.

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما** » (١) .

وأصح من ذلك تصريح النبى ﷺ بالأمر بالزهد فى الدنيا فقال ﷺ : « **ازهد في الدنيا يحبك الله . وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** » (٢) .

وقال ﷺ : « **إن الدنيا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء** » (٣) .

١- رواه الترمذى (١٩٨/٩) الزهد وقال حسن غريب وابن ماجة (٤١١٢) الزهد وحسنه الألبانى.

٢- رواه ابن ماجة (٤١٠٢) الزهد وابن حبان فى روضة العقلاء (ص١٤١) والقضاعى فى مسند الشهاب (٦٤٣) والحاكم (٣١٣/٤) وفيه خالد بن عمرو لكن له شواهد وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (٩٤٤).

٣- رواه مسلم (١٧، ٥٥) الرقاق وقال النووى : ومعنى الدنيا خضرة يحتمل أن المراد بها شيئان : أحدهما : حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا والثانى : سرعة فنائها كالشئ الأخضر فى هذين الوصفين .

آثار عن السلف الصالحين

فى

تعريف الزهد والزاهدين

قال **سفيان الثورى** : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء .

وقال **الجُنيد** : سمعت سريا يقول : إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه ، وحماها عن أصفيائه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ، لأنه لم يرضها لهم .

وقال : الزهد فى قوله تعالى : ﴿ **لِكَيْلا تَأسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّه لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [الحديد: ٢٣] فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود .

وقال : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد .

وقال **الإمام أحمد** : الزهد فى الدنيا قصر الأمل .

وفى رواية عنه : عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها. فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا ؟ فقال : نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ، ولا يحزن إذا نقصت .

وقال رجل **ليحيى بن معاذ** : متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزاهدين ، وأقعد معهم ؟ فقال : إذا صرت من

رياضتك لنفسك إلى حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك ، فأما مالم تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ، ثم لا آمن عليك أن تفتضح .

وقال **الحسن** : الزاهد الذى إذا رأى أحداً قال هو أزهد منى .

وقال **يونس بن ميسرة** : ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، إنما الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك ، وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامُّك فى الحق سواء .

وقال **الفضيل** : أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل .

وقال : القنوع هو الزاهد وهو الغنى .

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة ، والورع ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة .

وقال **ابن القيم** رحمه الله : والذى أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه فى منازل الآخرة ، وعلى هذا صنّف المتقدمون كتب الزهد. كالزهد لعبد الله بن المبارك ، وللإمام أحمد ولوكيع ولهناد بن السرى ولغيرهم .

ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد إسم (الزهد) حتى يزهد فيها : وهى المال ، والصور ، والرياسة ، والنفس ، وكل ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك ، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما ، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان على بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضى الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير ، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد ، وكان له رأس مال يقول : لولا هو لتمندك بنا هؤلاء .[1]

١- باختصار من مدارج السالكين (٢/١٢، ١٣) بتحقيق حامد الفقى .

دوافع الزاهدين إلى الزهد ومشاهدهم فيه

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : والزاهدون فى الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها فمنهم من يشهد كثرة التعب بالسعى فى تحصيلها ، فهو يزهد فيها قصدا لراحة نفسه. قال الحسن : الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن .[1]

ومنهم من يخاف أن ينقص حظه من الآخرة بأخذ فضول الدنيا.

ومنهم من يخاف من طول الحساب عليها. قال بعضهم : من سأل الله الدنيا فإنما يسأل طول الوقوف للحساب.

ومنهم من يشهد كثرة عيوب الدنيا ، وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الأراذل فى طلبها. كما قيل لبعضهم : ما الذى زهدك فى الدنيا ؟ قال : قلة وفائها وكثرة جفائها وخسة شركائها.

ومنهم من كان ينظر إلى حقارة الدنيا عند الله فيتقذرها كما قال الفضيل : لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب بها فى الآخرة لكنت اتقذرها ، كما يتقذر الرجل الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه .[2]

١-رواه أحمد فى الزهد عن طاووس مرسلا (١٠) .

٢- رواه أبو نعيم فى الحلية (٨/٨٩) .

ومنهم من كان يخاف أن تشغله عن الإستعداد للآخرة والتزوّد لها قال الحسن : إن كان أحدهم ليعيش عمره مجهودا شديد الجهد والمال الحلال إلى جنبه ، يقال له : ألا تأتى هذا فتصيب منه فيقول : لا والله لا أفعل إنى أخاف أن آتيه فأصيب منه فيكون فساد قلبى وعملى .

وبُعثَ إلى عمر بن المنكدر بمال فبكى واشتد بكاؤه. وقال : خشيت أن تغلب الدنيا على قلبى فلا يكون للآخرة فيه نصيب فذلك الذى أبكانى ثم أمر به فتصدق به على فقراء أهل المدينة.

وخواص هؤلاء يخشى أن يشتغل بها عن الله ، قال أبو سليمان : الزهد ترك ما يشغل عن الله. وقال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤوم .

إلى أن قال رحمه الله :

فالزهد فى الدنيا يراد به تفريغ القلب من الإشتغال بها ليتفرغ لطلب الله ، ومعرفته ، والقرب منه ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه ، وهذه الأمور ليست من الدنيا كما كان النبى ﷺ يقول : « **حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء والطِّيب ، وجُعلت قرة عينى فى الصلاةَ** »[1] ولم يجعل الصلاة مِمَّا حُبِّبَ إليه من الدنيا .[2]

١-رواه أحمد (١٢٨/٣) والنسائى (٩٦١/٧) عشرة النساء ، والحاكم (١٦٠/٢) النكاح وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٨٩)

٢- بإختصار من جامع العلوم والحِكَم (١٩٦/٢-١٩٨) .

ونحن إذ نتكلم عن الزهد لا نستقى مادتنا من كتب الصوفية ولا نعتبر أئمة الصوفية وغلاتهم هم المثل الأعلى للزهد ، وأن من كان على غير طريقتهم فليس بزاهد أو ينقص من زهده كما نقص عنهم ولكننا نعتبر حال رسول الله ﷺ هو أمثل الأحوال فى الزهد فهو قدوة العاملين والعابدين والدعاة المخلصين ، قال الله عز وجل : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد بالغ كثير من الكتاب فى بيان أحوال الزهاد والعباد الأوائل فيروون عن زين العابدين أنه كان يصلى فى اليوم ألف ركعة وهذا بعيد جدا بل مستحيل ، وبفرض حصوله فهدى رسول الله ﷺ خير من هديه ، فقد كان ﷺ لا يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة ولو قيل للنبى ﷺ إن فلانا يصلى فى اليوم ألف ركعة أو لا يأكل اللحم أو يسرد الصيام لقال بلسان الحال أو المقال : « **إنى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية** » (١).

فإذا تقرر أن رسول الله ﷺ هو أعلم الناس تقرر كذلك أنه أعبد الناس وأطوعهم لله عز وجل وأعبدهم وأزهدهم وأخشاهم فلا تغتر بالحكايات المزوقة والأخبار الملفقة ويكون غاية

١- رواه البخارى (٥١٣/١٠) الأدب ، ومسلم (١٠٦/١٥) الفضائل ، وأحمد (١٨١،٤٥/٦)